٥ ــ بلاط الشهداء

بعد ألف ومائتى عام

للأستاذ محمد عبد الله عنان

وكان الجيش الاسلامى فى حال تدعو الى القلق والتوجس ، فان الشقاق كان يضطرم بين قبائل البربر التى يتألف منها معظم الجيش ، وكانت تتوق الى الانسحاب ناجية بغنائمها الكبيرة . وكان المسلمون فى الواقع قد استصفوا ثروات فرنسا الجنوبية أثناء سيرهم المظفر ونهبوا جميع كنائسها وأديارها الغنية ، وأثقلوا بما لا يقدر ولا يحصى من الذخائر والغنائم والسبى فكانت هذه الاثقال النفيسة تحدث الخلل فى صفوفهم وتثير بينهم ضروب الخلاف . وقدر عبد الرحمن خطر هذه الغنائم على نظام الجيش وهيبته وخشى مما تثيره فى نفوس الجند من الحرص والانشغال وحاول عبثا ان يحملهم على ترك شىء منها ؛ ولكنه لم يشدد فى ذلك خيفة التمرد . وكان المسلمون من جهة أخرى قد أنهكتهم غزوات أشهر متواصلة مذ دخلوا فرنسا ، ونقص عددهم بسبب تخلف حاميات عديدة منهم فى كثير من القواعد والمدن المفتوحة . ولكن عبد الرحمن تأهب لقتال العدو وخوض المعركة الحاسمة بعزم وثقة

وبدأ القتال فى اليوم الثانى عشر أو الثالث عشر من أكتوبر سنة ٧٣٢ م (أواخر شعبان سنة ١١٤ هـ) فنشبت بين الجيشين معارك جزئية مدى سبعة أيام أو ثمانية احتفظ فيها كل بمراكزه . وفى اليوم التاسع نشبت بينهما معركة عامة فاقتتلا بشدة وتعادل حتى دخول الليل . واستأنفا القتال فى اليوم التالى ، وأبدى كلاهما منتهى الشجاعة والجلد حتى بدا الاعياء على الفرنج ولاح النصر فى جانب المسلمين . ولكن حدث عندئذ أن افتتح الفرنج ثغرة الى معسكر الغنائم الاسلامى ، وخشى عليه من السقوط فى أيديهم ، أو حدث كما تقول الرواية أن ارتفعت صيحة مجهول فى المراكز الاسلامية بأن معسكر الغنائم يكاد يقع فى يد العدو . فارتدت قوة كبيرة من الفرسان من قلب المعركة الى ما وراء الصفوف لحماية الغنائم ، وتواثب كثير من الجند للدفاع عن غنائمهم . فدب الخلل الى صفوف المسلمين ، وعبثا حاول عبد الرحمن أن يعيد النظام وان يهدىء روع الجند ، وبينا يتنقل أمام الصفوف يقودها ويجمع شتاتها ، اذ أصابه من جانب الأعداء سهم أودى بحياته ، فسقط قتيلا من فوق جواده ، وعم الذعر والاضطراب فى الجيش الاسلامى ، واشتدت وطأة الفرنج على المسلمين وكثر القتل فى صفوفهم ، ولكنهم صمدوا للعدو حتى جن الليل ، وافترق الجيشان دون فصل . وكان ذلك فى اليوم الحادى والعشرين من اكتوبر سنة ٧٣٢ م (أوائل رمضان سنة ١١٤ هـ) (١)

وهنا اضطرم الجدل والنزاع بين قادة الجيش الاسلامى ، واختلف الرأى وهاجت الخواطر وسرى التوجس والفزع . ورأى الزعماء أن كل أمل فى النصر قد غاض فقرروا الانسحاب على الأثر . وفى الحال غادر المسلمون مراكزهم وارتدوا فى جوف الليل ، وتحت جنح الظلام جنوبا ، صوب قواعدهم فى سبتمانيا ، تاركين أثقالهم ومعظم اسلابهم غنما للعدو . وفى فجر الغد لاحظ كارل وحليفه أودو سكون المعسكرات العربية فتقدما منها بحذر واحجام فالفياها خاوية خالية الا من بعض الجرحى الذين لم يستطيعوا مرافقة الجيش المنحسب ، فذبحوا على الأثر . وخشى كارل الخديعة والكمين فاكتفى بانسحاب العدو ولم يجرؤ على مطاردته وآثر العود بجيشه الى الشمال .

(١) تجمع معظم الروايات الفرنجية والكنسية على أن الموقعة كانت فى أكتوبر سنة ٧٣٢م . وهذا التاريخ يوافق بالهجرة شعبان سنة ١١٤ هـ بيد أن الرواية الاسلامية تختلف فى تحديد هذا التاريخ ، فالبعض يقول انها كانت سنة ١١٥ هـ (ابن عبد الحكم ص٢١٧ ـ الضبى فى بغية الملتمس رقم ١٠٢١ ــ ابن عذارى ج ١ ص ٣٧ ولكنه يعود فيذكر ان الموقعة كانت سنة ١١٤ هـ ــ ج ٢ ص٢٨) . ولكن ابن الاثير (٥ ص ٦٤) وابن خلدون (٤ ص ١١٩) والمقرى عن ابن حيان (ج ٢ ص ١٠٩ و ج ٢ ص٥٦) متفقون على انها كانت سنة ١١٤ هـ ــ ويقول الاخيران أنها كانت فى رمضان سنة ١١٤ هـ . وهو أصح تعيين يتفق مع الرواية الغربية

المعرفة بالعقل على المعرفة بالأيمان . ٣ ـ باعتقاده أن الانسان قادر على رؤية الله عز وجل فى الدنيا . ٤ ـ بأقواله المنتجة مذهب تأليه الكل أو البانتيسم الشمولى . وما كان أحد ليخلو من عتب أهل الدين ولومهم . ومدار القصة بكاملها هى أن معرفة الله الفلسفية أسمى من المعرفة الدينية ، وهذا ما لاقى فى سبيله ابن رشد واضرابه من التعذيب والاضطهاد ما لاقى

هذه لمحة ـ ربما تكون سطحية فى قصة حى بن يقظان ـ عن النظريات والمذاهب الفلسفية التى تضمنتها ، وربما عدنا الى الموضوع فى بحث آخر نفصل فيه العناصر الاجنبية فى فلسفة ابن الطفيل وتعاليمه ، ونختم الآن هذا الفصل فى أن: فيلسوف الاندلس قد أجاد كل الاجادة فى سبك قصته الفلسفية وأسلوبه فيها جميل سهل وجذاب يقرب إلى ذهن القارىء الاقوال الفلسفية ، ومع أن إنشاءها سهل وبسيط رائق لم تخل أحيانا من التعقيد والغموض . ونتيجة القول أن هذا الكتيب النفيس مشحون بالتعاليم الفلسفية الاسلامية ترفرف عليه روح الافلاطونية الحديثة ، ومن يطلع على هذه القصة يوافق الافرنج على حكمهم : « انها آية من آيات القصص العربية الحكيمة ومختصر فلسفة العرب . » اهـ

طرطوس سوريا — احمد المحمود

هذه هى أدق صورة لحوادث تلك الموقعة الشهيرة طبقا لمختلف الروايات . والآن نورد ماتقوله الرواية الفرنجية الكنسية ثم الرواية الاسلامية .

أما الرواية الفرنجية الكنسية فيشوبها كثير من المبالغة والتحامل والتعصب ، وهى تصف مصائب فرنسا والنصرانية من جراء غزوة العرب فى صور مثيرة محزنة ، وتفصل حوادث هذه الغزوة فتقول احداها : « لما رأى الدوق أودو أن الأمير شارل (كارل) قد هزمه وأذله وانه لا يستطيع الانتقام اذا لم يتلق النجدة من احدى النواحى ، تحالف مع عرب أسبانيا ودعاهم الى غوثه ضد الأمير شارل وضد النصرانية . وعندئذ خرج العرب وملكهم عبدالرحمن من أسبانيا مع جميع نسائهم وأولادهم وعددهم وأقواتهم فى جموع لا تحصى ولا تقدر ، وحملوا كل ما استطاعوا من الاسلحة والذخائر كأنما عولوا على البقاء فى أرض فرنسا . ثم اخترقوا مقاطعة جيرونده واقتحموا مدينة بوردو وقتلوا الناس فى الكنائس وخربوا كل البسائط وساروا حتى بواتيو . . (١)

وتقول أخرى : « ولما رأى عبد الرحمن أن السهول قدغصت بجموعه اقتحم الجبال ووطىء السهول بسيطها ووعرها ، وتوغل مثخنا فى بلاد الفرنج ومحق بسيفه كل شىء ، حتى أن أودو حينما تقدم لقتاله على نهر الجارون وفرّ منهزما أمامه لم يكن يعرف عدد القتلى سوى الله وحده . ثم طارد عبد الرحمن الكونت أودو ، وحينما حاول أن ينهب كنيسة تور المقدسة ويحرقها التقى بكارل أمير فرنج أوستراسيا وهو رجل حرب منذ فتوته ، وكان أودو قد بادر باخطاره وهنالك قضى الفريقان أسبوعا فى التأهب واصطفا أخيرا للقتال ثم وقفت أمم الشمال كسور منيع ومنطقة من الثلج لاتخترق واثخنت فى العرب بحد السيف »

« ولما ان استطاع أهل أوستراسيا (الفرنج) بقوة أطرافهم الضخمة ، وبأيديهم الحديدية التى ترسل من الصدر تواً ضرباتها القوية ان يجهزوا على جموع كبيرة من العدو ، التقوا أخيراً بالملك (عبد الرحمن) وقضوا على حياته . ثم دخل الليل ففصل الجيشان والفرنج يلوحون بسيوفهم عالية احتقارا للعدو . فلما استيقظوا فى فجر الغد ورأوا خيام العرب الكثيرة كلها مصفوفة أمامهم تأهبوا للقتال معتقدين ان جموع العدو جاثمة فيها ولكنهم حينما أرسلوا طلائعهم ألفوا جموع المسلمين قد فرت صامتة تحت جنح الليل مولية شطر بلادها . على انهم خشوا ان يكون هذا الفرار خديعة يعقبها كمين من جهات أخرى فاحاطوا بالمعسكر حذرين دهشين . ولكن الغزاة قد فروا . وبعد ان اقتسم الفرنج الغنائم والاسرى فيما بينهم بنظام عادوا مغتبطين الى ديارهم (١) »

وأما الرواية الاسلامية فهى ضنينة فى هذا الموطن كل الضن كما أسلفنا ويمر معظم المؤرخين المسلمين على تلك الحوادث بالصمت أو الاشارة الموجزة كما سنرى غير أن المؤرخ الاسبانى كوندى يقدم الينا خلاصة من أقوال الرواية الاندلسية المسلمة (٢) عن غزو فرنسا وعن موقعة تور ننقلها مترجمة فيما يلى:- (يتبع)

---

(١) هذه هى رواية القديس دنى saint Denis — وردت فى موسوعة بوكيه Dom Boquet: Receuil des Historiens de Gaule et de la France —III—310 ووردت فى هذه الموسوعة أيضاً أقوال أخرى من الرواة الاحبار

(١) هذه هى روايه ابزيدور الباجى وهو معاصر للموقعه — راجع: Creasy: Gibbon; وكذلك ibidch VII-Holgkin : Charles the Great ch.III, Ch LII ففيها تنقل هذه التفاصيل وتلخص

(٢) لم نقف فى أى المصادر العربية التى بين أيدينا على أصل هذه الاقوال التى يقول كوندى انه اقتبسها من الرواية العربية ولم يذكر هو مصدر اقتباسه . ومن المحقق أنه نقلها عن بعض مخطوطات الاسكوريال أو الجميات الخاصة التى لم تتداول حتى عصرنا . ولعله نقلها على الاغلب من كتاب جذوة المقتبس للحميدى حيث يقول فى مقدمته أنه انتفع به فى عصر الفتح والولاة الاوائل . ولعله أيضاً نقل شيئاً منها من شذور لابن حيان وابن بشكوال ويلوح لنا أن الحجارى فى كتابه « المسهب » قد تناول هذه الحوادث بالتفصيل حيث نقل المقرى عنه شذرة تفيد ذلك (نفح ١ ص ١٢٩) ولعل كوندى وقف على شىء منها . غير أن هذه المصادر جميعها لاتوجد للاسف بين أيدينا وليست بين محتويات دار الكتب المصرية وما تزال مخطوطة فى ظلمات الاسكوريال وغيره من المكاتب الاوربية . وقد يتاح لنا يوما أن نظفر بالاطلاع عليها والانتفاع بها راجع حديث كوندى عن مصادره فى مقدمه الترجمة الانكليزيه (ج ١ ص ٢٣)

الصحة والقوة

وجسم يعجب وعقل يهيئ للنجاح

النحافة . السمنة . قصر القامة . العادة السرية . الاضطراب . الضعف التناسلى . الإمساك . ضعف المعدة . القلب . الصدر . الأعصاب . تقوس الرجل . الخجل . ضعف الذاكرة والإرادة قلة الثقة فى النفس وكل الأمراض المزمنة والعيوب الجسمانية والعقلية يمكن علاجها فى المنزل علاجا سريعا أكيدا بتمرينات خاصة .

كل شىء مشروح فى

كتاب الجسم الكامل وكتاب العقل الكامل

١٠٠ صفحه مجانا فقط ١٠ مليمات طوابع بوستة للخارج

(قيمته مجاوبة فى الخارج) عين الكتاب الذى تطلبه واكتب باسم

محمد فائق الجوهرى

مدير معهد التربية البدنية والعقلية

١١ شارع سنجر السورى فاروق مصر

تليفون ٥٠٣٥٩